

الأساطير

الجزء الخامس

حوار مع فرعون

الأساطير



يقلم: ١٠. عبد الحميد عبد المصنود

رسوم: ١١. عبد الشافي سيد

إشراف: ١٢. حمدي مصطفى



ذهب موسى وهارون - عليهما السلام - برسالة الله
إلى فرعون مصر، فدعاه موسى إلى الإيمان بالله،
وطلب منه أن يطلق سراح بني إسرائيل، ويسمح لهم
بالذهاب معه، ليعودوا إلى فلسطين، ويعبدوا الله..
فنظر إليه الفرعون ساخراً، وقال:

- هل نسيت يا موسى أننا التقطناك من النيل

صغيراً، وتربيت في قصرى، فأكلت من خيرى ١٢
 أم نسيت أنك قتلت واحداً من أتباعى، وقررت هارباً،
 دون أن توقع عليك العقوبة التى تستحقها، وهى
 القتل ١٣! ألم تكن كافراً يا موسى حينما ارتكبت
 جرميتك وهربت؟ فلماذا تأتى الآن وتدعى أنك
 رسول ١٤

فقال له موسى عليه السلام إنه فر من مصر خوفاً من
 بطشهم به على جريمة لم يقصد ارتكابها، وقد غفر
 الله له، ومن عليه بركة كبرى، وهى النبوة والرسالة..
 ثم قال موسى عليه السلام:

- ولا تحسبن أنك بعثتكم لى يا فرعون تمن
 على، فأنا فرد واحد من شعب بنى إسرائيل، لكن
 كنت قد أحسنت إلى وربيتنى، فقد استغللت شعبى،
 فسخرته وأذللته، وذهبت أبناءه.. هل هذا يعدل
 جرائمك فى حق شعبى ١٥! هل تظن يا فرعون

أَنْ إِحْسَانِكَ إِلَيَّ يُكَفِّرُ عَنْ جُرَائِمِكَ فِي حَقِّ
بَنِي إِسْرَائِيلَ !؟ وَلَقَدْ مِنَ اللَّهِ عَلَيَّ لَمَّا فَرَرْتُ مِنْكُمْ
وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ .. إِنِّي رَسُولٌ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ..

فَقَالَ فِرْعَوْنُ سَاحِرًا :

- وَمَنْ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَذَا الَّذِي أَرْسَلَكَ يَا مُوسَى !؟

فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا ..

فَنَظَرَ فِرْعَوْنُ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ وَقَالَ :

- هَلْ تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ مُوسَى !؟

فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- إِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ هُوَ رَبُّكُمْ ، وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ..

فَضَحِكَ فِرْعَوْنُ وَقَالَ :

- إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي أَمَامَكُمْ يَدَّعِي أَنَّهُ رَسُولٌ ،

وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَجْنُونًا ..

فَأَخَذَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ نِعَمِ اللَّهِ - تَعَالَى -

عليهم ، وأخذ يلفت نظر فرعون ومن حوله
إلى آيات الله الواضحة في الكون ، كما حدثهم عن
البعث والحساب يوم القيامة ..

فقال فرعون ساحراً :

- إذن سيكون هناك بعثٌ وحياةٌ من بعد الموت ؟

فقال موسى عليه السلام :

- إن الله - تعالى - سوف يبعث الناس جميعاً

لحساب يوم القيامة ، فمن عمل خيراً جازاه بدخول

الجنة ، ومن عمل شراً عاقبه بالحرق في النار ..

وبدلاً من أن يؤمن فرعون ، ويصدق كلمات موسى

عليه السلام ، راح يسخر منه ، ويتهمه تارة بأنه مجنون ،

وتارة بأنه ساحر ، وتارة بأنه كذاب ..

ثم هو يتهدد موسى عليه السلام أخيراً بقوله :

- إذا لم ترجع عما تدعيه يا موسى ، أو إذا اتخذت

لك إلهاً غيري ، فسوف آمر بالقبض عليك ، وألقي

بك في السجن ..

فَقَالَ لَهُ مُوسَى عليه السلام :

- حَتَّى لَوْ جِئْتُكَ بِآيَةٍ مُعْجِزَةٍ ؟

فَتَعَجَّبَ فِرْعَوْنُ ، وَقَالَ فِي سَخَرِيَةِ :

- هَيَّا يَا مُوسَى أَرَأَيْتَ مُعْجِزَتِكَ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْهَا ..

فَأَلْقَى مُوسَى عليه السلام عَصَاهُ عَلَى الْأَرْضِ ، كَمَا أَمَرَهُ

اللَّهُ - تَعَالَى - ، وَلَمْ تَكُذِّ الْعَصَا تَلْمِسُ الْأَرْضَ ، حَتَّى

تَحُولَتْ إِلَى حَيَّةٍ ضَخْمَةٍ ، وَرَاحَتْ تَسْعَى عَلَى الْأَرْضِ ،

فَأَثَارَتْ دَهْشَةَ الْفِرْعَوْنِ ، وَدَهْشَةَ الْحَاضِرِينَ ، ثُمَّ

تَحُولَتْ الدَّهْشَةُ إِلَى خَوْفٍ وَذُعْرٍ ..

وَاتَّجَهَتِ الْحَيَّةُ بِسُرْعَةٍ نَحْوَ الْفِرْعَوْنِ ، فَاعْرَضَتْ فَاهَا

عَنْ آخِرِهِ ، وَكَأَنَّهَا تُرِيدُ التَّهَامَهُ ..

صَرَخَ الْفِرْعَوْنُ فِي رُغْبٍ ، طَالِبًا مِنْ مُوسَى عليه السلام ،

أَنْ يَبْعُدَ عَنْهُ هَذِهِ الْحَيَّةَ الْمَخِيفَةَ ..

مَدَّ مُوسَى عليه السلام يَدَهُ الشَّرِيفَةَ ، وَأَمْسَكَتِ الْحَيَّةُ ،

فَتَحُولَتْ فِي يَدِهِ إِلَى الْعَصَا ..

زَادَتْ دَهْشَةُ الْحَاضِرِينَ مِمَّا رَأَوْهُ ..



وأمرع نبي الله موسى ﷺ لينهرهم بمعجزته

الثانية ..

فأدخل يده في جيبه - كما أمره ربه من قبل - ثم أخرجها ، فراها الجميع وهي تتلأأ منيرة كالبدر ، أو كمصباح توهج فجأة وسط الظلام ، فبهر الحاضرين بضوئه .. ثم أدخل موسى يده في جيبه ، وأخرجها مرة أخرى ، فعادت كما كانت ..

تملكت فرعون الدهشة والذهول ، بعد أن رأى بعينه هاتين المعجزتين ، اللتين جاء بهما موسى ﷺ .. فتساءل بينه وبين نفسه قائلاً :

- هل من المعقول أن يكون موسى حقاً رسولاً من رب العالمين ؟ بعد أن رأيت ما رأيت ، وسمعت ما سمعت من أفعاله وأقواله ، بدأت تراودني الشكوك والظنون .. لكن إذا كان موسى حقاً رسولاً ، فإن وجوده أصبح يهدد سلطاني وسيطرتي على الناس ..

هَمْ يَصَدَّقُونَ أَنَّنِي إِلَهٌ ، وَأَنَّنِي رَبُّهُمْ الْأَعْلَى ..
مَاذَا يَحْدُثُ الْآنَ لَوْ ائْتَشَرَ خَيْرُ مُوسَى ، وَعَرَفَ النَّاسُ
أَنَّهُ يَأْتِي بِالْمُعْجَزَاتِ ، خَاصَّةً قَوْمَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ،
الَّذِينَ جَاءَ يُطَالِبُنِي بِإِطْلَاقِ سَرَاحِهِمْ ؟ ! لَا .. إِنَّ هَذَا
لَنْ يَكُونَ أَبَدًا ..



وهكذا ملأ الغضب صدر فرعون ضد موسى عليه السلام .

فامر موسى وأخاه هارون - عليهما السلام - بالانصراف ،
زاعماً لهما أنه سوف يتناقش معهما في هذا الأمر
فيما بعد ..

وهكذا غادر موسى وهارون - عليهما السلام -
قصر الفرعون ، وهما يعرفان أنه لن يؤمن ، ولن
يطلق سراح بني إسرائيل ، وكل ما يفعله هو كسب
الوقت للبحث عن وسائل لمقاومتهم ..

وما إن غادر موسى وهارون - عليهما السلام -
القصر ، حتى سارع الفرعون بعقد اجتماع عاجل مع
وزرائه ومستشاريه ، وعلى رأسهم كبير وزرائه هامان ..
وكان الهدف من هذا الاجتماع واضحاً ، وهو
البحث عن وسيلة لمنع موسى عليه السلام من نشر دعوته ،
بين المصريين ، وبين بني إسرائيل ..

صحيح أن الفرعون يستعبد الناس ، زاعماً لهم أنه إله ،
وأنه ربهم الأعلى ، ولكن موسى عليه السلام جاءهم

بأشياء حارقة للعادة . جاءهم بمعجرات ..

وموسى عليه السلام يزعم أن للكون إليها آخر في السماء ،
ويرغم أيضا أن الناس جميعا يجب أن يتجهوا إلى
إلهه هذا بالخضوع والعبادة .

قال الفرعون لكبير وزرائه :

- هل صحيح يا هامان ما يزعمه موسى من وجود

إله غيرى في السماء ؟

فقال هامان منافقا :

- لا .. موسى يكذب .. لا تُصدِّقه أيها الفرعون الإله ..

فقال الفرعون أمرا .

- اسمع يا هامان . أصدر أمرا إلى المهندسين

والبنائين كي يبنوا لى صرحا ..

فقال هامان :

- ماذا تقصد بالصرح أيها الفرعون الإله ؟

فقال الفرعون :

- ابن لى باء ضخما مرتفعاً ، يصل إلى السماء .

فقال هامان :

- هذا سهل أيها الفرعون . فعندنا أمهر السائين في العالم كله .. ولكن لماذا ؟

فقال الفرعون :

- أريد أن أصعد فوقه . حتى أصل إلى السماوات .
فأنظر إلى إله موسى . وأرى إن كان موجوداً هناك . أم
أن موسى يكذب ..

فقال هامان والحاضرون جميعاً :

- بل موسى يكذب .. كلنا نعرف أنه كذاب ..

فقال فرعون :

- أنا أيضاً واثق أنه يكذب . وأنه مجنون .

فقال هامان :

- بل هو ساحر يا مولاي .. موسى ساحرٌ مخترعٌ .

فقال فرعون :

- نعم .. لقد رأيته بعيني وهو يسحر العصا . ويحولها

إلى ثعالب . لقد حيل إلى من مهارته في السحر .

أَنَّهُ تُعْبَانُ حَقِيقِي ..

فَقَالَ هَامَانَ :

- وَأَنَا رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَسْحَرُ يَدَهُ ، وَيَجْعَلُهَا تَشَعُّ
بِالضِّيَاءِ .. هَذِهِ الْأَفْعَالُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا سِوَى سَاحِرٍ
مُحْتَرَفٍ ..

فَقَالَ فِرْعَوْنُ :

هُوَ سَاحِرٌ حَقًّا ، وَلَكِنْ أَيْنَ تَعْلَمُ السَّحْرَ .. لَقَدْ
تَرَبُّيَ فِي قَصْرِى ، وَلَمْ أَرَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً يُجْرِبُ هَذِهِ
الْأَلْعَابَ السَّحَرِيَّةَ الَّتِي قَامَ بِهَا ، وَبَهَرْتَنَا جَمِيعًا ..



فَقَالَ هَامَانُ :

- تَعْلَمُهَا خَارِجُ الْقَصْرِ يَا مُوَلَايَ .. لَقَدْ اخْتَفَى
عَشْرَ سِنَوَاتٍ ، وَلَاحِدَ أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ ، كَانَ يَتَلَقَّى
دُرُوسًا فِي السَّحْرِ عَلَى يَدِ أَحَدِ السَّحَرَةِ الْمَهَرَةِ ..
الْمِصْرِيِّونَ يَجِيدُونَ فُنُونَ السَّحْرِ ، وَبَارِعُونَ فِيهَا
لِلْغَايَةِ يَا مُوَلَايَ ..

فَقَالَ فِرْعَوْنُ :

- سَاعُرِفْ كَيْفَ اكْتَشَفَ مُوسَى ، وَاثْبِتْ لِلنَّاسِ أَنَّهُ
سَاحِرٌ .. أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَجْمَعُوا لِي كُلَّ السَّحَرَةِ ..

فَقَالَ هَامَانُ :

- هَذَا أَمْرٌ فِي غَايَةِ السَّهُولَةِ يَا مُوَلَايَ .. سَتَجْمَعُ لَكَ
كُلَّ السَّحَرَةِ ، بَلْ أَمْهَرُ السَّحَرَةِ ، مِنْ كُلِّ أَنْحَاءِ مِصْرَ ..
وَهَكَذَا أَصْدِرُ فِرْعَوْنُ قَرَارَهُ بِاسْتِدْعَاءِ جَمِيعِ السَّحَرَةِ
الْمَاهِرِينَ مِنْ كُلِّ مَدَنٍ وَقُرَى مِصْرَ ، لِيَأْتُوا إِلَى قَصْرِهِ ،
وَيَتَحَدَّثُوا بِسَحَرِهِمْ مُوسَى ، لِيَكْشِفُوهُ عَلَى الْمَلِكِ ،
وَأَمَامَ النَّاسِ جَمِيعًا ، فَيَنْصَرِفُوا عَنِ الْإِسْتِمَاعِ إِلَيْهِ ..



وَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ يَحْضِرُهُ إِلَى
الْقَصْرِ ، فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ :

- اسْمَعْ يَا مُوسَى .. نَعْرِفُ أَنَّكَ سَاحِرٌ ، وَأَنَّكَ
تُحَاوِلُ التَّأْثِيرَ عَلَيْنَا بِحِيلِكَ وَالْأَعْيَبِ السَّحَرِيَّةِ ،
وَلَكِنْ هَذِهِ الْحِيلُ سَوْفَ تَنْكَشِفُ حَالًا .. لَقَدْ أَمَرْتُ
بِاسْتِدْعَاءِ أَمْهَرِ السَّحَرَةِ ، لِيَكْشِفُوكَ أَمَامَ النَّاسِ ، إِذَا
كَانَ فِي مَقْدُورِكَ أَنْ تُقَابِلَهُمْ ، فَحَدِّدِ الْمَوْعِدَ الَّذِي

يُنَاسِبُكَ ، وَإِلَّا فَكُفَّ عَنْ هَذِهِ الْأَكَاذِيبِ ..

فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

— أَنَا مُوَافِقٌ عَلَى مُقَابَلَةِ السَّحَرَةِ ، وَلِيَكُنْ مَوْعِدُنَا

يَوْمَ الزَّيْنَةِ ، فِي الصَّبَاحِ .

فَقَالَ فِرْعَوْنُ :

— اتَّفَقْنَا .. إِلَى الْلِقَاءِ يَوْمَ الزَّيْنَةِ صَبَاحًا .

(تَمَّتْ)



قِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ

الْكِتَابُ التَّالِي

— موسى

عَلَيْهِ السَّلَامُ

(6)

(إيمان السحرة)

أحرص على اقتنائه